المحـاضرة الرابعة: حلقة براغ 1: **الأستاذة: وفاء دبيش.**

1- التأسيس : أسست حلقة براغ [1] اللغوية في عام 1926 على يد جماعة من اللغويين
التشيكيين، وكتب لهذه الحلقة العلمية الشهرة والذيوع، بدخول ثلاثة لغويين فيها من أصل
روسي، وذلك عام 1928، وهم الأمير الروسي نيكولاي تروباتزكوي Vilem
Nicolas) Trubetzkoyورومان ياكوبسون (R. Jakobson) وكرسيفسكي(Kruszewski)
ومن أولئك المؤسسين الأوائل لها العالم التشيكي فيلام مائيسيوس Mathessieus،
وتعرف بمدرسة براغ أو المدرسة الوظيفية، أو المدرسة الفونيمية، ولقد بلغت هذه
المدرسة ذروتها في الثلاثينيات وما زال نفوذها مستمرا إلى يومنا هذا، وعلى خلاف
المدارس الأخرى، فإنّها تضمّ عدداً كبيراً من الباحثين المتخصصين في اللغات السلافية
من تشيكوسلوفاكية [آنذاك] وخارجها، ولقد ربطت شهرة هذه الحلقة باليوم الذي
قدم فيه هؤلاء العلماء الثلاثة بيانا هاما إلى العلماء، الذين شاركوا في أول مؤتمر دولي
للغويين (في لاهاي سنة (1928)، وكان قد حرّر "جاكوبسون" مجموعة من المبادئ
الدراسة أصوات اللغة ووقع عليها رفيقاه.

2- منهج الدراسة في حلقة براغ:

- يتميز هذا المنهج بدراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة، النحوية والصرفية، والصوتية، والدلالية، دراسة وظيفية محضة. وهذا ما جعله يختلف عن باقي المناهج اللسانية الأخرى... فقد شملت نشاطات هذه المدرسة المجالات التالية:

الصوتيات الوظيفية الآنية، والصوتيات الوظيفية التاريخية، والتحليل الوظيفي والعروضي وتصنيف التضاد الفونولوجي، والأسلوبية اللسانية الوظيفية، ودراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والمجتمع والفنون، فكانت جل دراستهم تركز على الجانب الوظيفي سواء تعلق الأمر بالدراسات الوصفية الآنية أو بالدراسات التاريخية، أو بالدرس الأسلوبي، أو بالدراسات المتعلقة بالجماليات اللغوية. وإذا كان دوسوسير قد ذهب إلى القول : بأن اللغة نظام من العلامات، فإن مدرسة براغ ترى : أن اللغة نظام من الوظائف وكل وظيفة نظام من العلامات. وهو ما يعني التركيز على دراسة الوظيفة الحقيقية للغة، والتي تتمثل في الاتصال ومناسبته ولمن يوجه لأنّ اللغة نظام للاتصال والتعبير من أجل التفاهم المشترك. [2]

---

(1)إبراهيم أنيس من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثالثة، 1999، ص 196 195

(2) -2أحمد مومن اللسانيات ، النشأة والتطور، مرجع سابق، ص 136

- اهتمت الحلقة بالجانب الوظيفي في اللغة، وراحت تبحث عن وظيفة اللغة الأصوات داخل النظام اللغوي، ووظيفة العناصر اللغوية في التراكيب والوظيفة الجمالية للغة، ووظيفة اللغة في المجتمع، وهو ما يجعل من مفهوم الوظيفة، محور الدراسات اللغوية الصوتية خاصة عند لسانيي حلقة براغ، ومن ثم فإن الوظيفة عندهم، تعني ربط اللغة بالواقع من جهة والإنسان من جهة أخرى، والبحث عن وظائف اللغة في المجتمع، وأثناء استعمال اللغة في التواصل، باعتبار أن اللغة لا وجود لها بعيدا عن المتكلمين المستعملين لها، والمتلقين المؤولين لها.

3- حلقة براغ والوظيفة من خلال تروباتسكوي: إن الدور الجوري الذي اضطلع به تروباتسكوي في حلقة براغ على المستويين المنيجي والنظري جعله يصبغ أعياهم بصبغة صوتية فنولوجية هذا الأخير الذي يعود الفضل في إرساء دعائمه إليه مباشرة، يقول حلمي خليل: "بدأ تروبالسكوي حياته العلمية بدراسة الأنتولوجيا ثم تخصص في دراسة اللغات الفنلندية وعلم اللغة، وقد بدأ أبحاثه من حيث انتهى سوسير، فهو يقيم تصوّره للفونيم على التفرقة التي وضعها سوسير بين اللغة والكلام، حيث يلمى الفونيم إلى مفهوم اللغة بالمعنى السوسيري أنا الأصوات فتنتمي إلى الكلام أي إن تروباتسكوي فرق بين علم الأصوات وهو العلم الذي يحلل ويصف أصوات اللغة وهي في حالة من التجريد، أما الفنولوجيا فهو العلم الذي يعالج الظواهر الصوتية بوظيفتها داخل البنية اللغوية.." (1)

ولتحقيق ذلك يقترح تروباتسكوي مبدنا أساسية ينص على: ".. إن الوصف العلمي الموضوعي للأصوات الخاصة بلغة من اللغات يجب أن يشمل أولا وقبل كل شيء الميزة التي يمتاز بها نظامها الفونولوجي؛ أي المجموعة الخاصة بهذه اللغة من المميزات التي تتميز بها الصورة الحركية الصوتية فيها تما لها دور في التمييز بين المعاني.."، ويواصل قائلا ".. والذي نرجوه وعمداء هو أن يتم تحديد أكثر دقة لأنواع هذه المميزات، ومن المهم أن ينظر إلى المعاليات والمناسبات الفونولوجية كفئة قائمة برأسها من التمايز، ذلك أنها تتكون من الأزواج المقابلة التي تشترك في ميزة واحدة على الأقل يمكن النظر إليها بمعزل عن كل زوج من الأزواج المتقابلة.." (2) . وبهذا يخرج بأربع قواعد أساسية هي:

أولا: القاعدة الأولى : ولكل هذه القاعدة الأصوات التي يمكن أن يأتي بعضها في مكان بعض وفي السياق الصوفي نفسه من الكلمة، ومع ذلك لا يخلف معنى آخر أو تصبح الكلمة غريبة في الاستعمال، يقول: "..إذا اطرد صوتان مختلفان من اللغة نفسها وفي مدرج واحد من التجاور الصوتي نفسه. وإذا كان ممكنا تعويض أحدهما بالآخر دون أن

---

(1)حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث. ط1، 1992م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر ص105

(2) Troubletskot Nicolai Sergueievitch, principes de la phonologie, Paris, klinchseck, 1947-1967, traduction française de Grundzige der phonologie 1939, p33

ينتج عن ذلك اختلاف في الدلالة الفكرية للكلمة، فإن هذين الصوتين ليسا سوى بديلين لفونيم واحد.. [1] ومثل ذلك ما نجده من الاستعمالات اليومية وبخاصة في التنوعات اللهجية كأن يقوم صوت مقام صوت آخر دون أن يتغير الفهم كحرف القاف في الجنوب الجزائري الذي يحل محل حرف الغين، أو حرف الغين في اللغة الفرنسية الذي يحل محل الراء وفي تاريخ اللهجات العربية القديمة قد عرفت هذه الظواهر بشكل واسع جدا، على نحو ما تجده في الكسكسة والكشكشة والعلمنة والوتم والاستطاه الخ)، وهذه الظاهرة موجودة في جميع اللغات تقريبا.

ثانيا : القاعدة الثانية: وهي تقريبا بالوصف نفسه الذي سبق مع القاعدة الأولى وبالتدرج نفسه، ولكنها لا تتيبي إلى نتيجة واحدة؛ إذ إن معيار المعنى يسجل بحضوره اختلافاتها بين دلالات الكلمات، يقول: ".. إذا جاء صوتان في السياق نفسه أي رتبته في مدارج الكلمة ولا يمكن بحال تغيير أحدهما بالآخر مع الاحتفاظ بالمعنى نفسه، أو دون أن تشد الكلمة عن الاستعمال، فإن هذين الصوتين هما تأديتان لقويمين مختلفين.. [2] وهذا حال جميع الكلمات المشتركة في جل الفونيات ماعدا في فونيم واحد، نحو (نام قام صال جال، تاب ناب الخ) فنلاحظ أن الفرق كان في فونيم واحد فقط- الأول-. ومع ذلك فقد أدى إلى إنتاج دلالات مختلفة تماما عن بعضها بعضا.

ثالثا: القاعدة الثالثة: وفي هذه القاعدة سيحدّد الأصوات المتقاربة من حيث المخرج ولكنها لا يقعان أبدا في السياق ذاته من الحروف ومع ذلك لا يمكن اعتبارهما إلا تأديتين تركيبيتين لقونيم واحد ". ويقدم تروباتسكوي مثالا من اللسان الكوريلتبيان هذه القاعدة، ففي هذا اللسان لا يظهر (r) و (s) في نهاية الكلمة، وبما أن (L) أسناني لثوي جانبي يعني صوت مائلliquideوأقرب إلى (r) منه إلى (s) يمكن اعتبار و (في الكورية بديلين مختلفين لصواتة واحدة.." [3] وهو الحال نفسه في اللغة العربية بين الحرفين (الضاد والظاء) حيث إنها عادة يستعملان بالنطق نفسه ومن المخرج نفسه ، أنها صوت واحد

ولكن الحال أنها مختلفان عن بعضها تماما.

رابعا: القاعدة الرابعة: وهي القاعدة المبنية على القاعدة الثالثة، ولكنها تختلف معها في انتقال من السياق إلى الجوار أو أن يظهر الثاني بمعزل عن الأول وهنا لا يمكن اعتبارهما بدلا عن بعضها بعضا. وهذا حال أكثر الفونيمات الموجود في اللغات.

4- بين الفونيتيك والفونولوجيا:

لقد كان كتاب تروبتسكوي مبادئ (الفونولوجيا المؤلف سنة 1939 بمثابة العمل التوليفي الجامع لمباحث الصواتة (الفونولوجيا) لحلقة براغ، بل لقد صار عمله مؤسسا لتخصص يصدر لاسمه وللحلقة عموما.

---

(1)مصطفى غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات. ص 242

(2) المرجع السابق، ص 243.

(3)مصطفى غلفان اللسانيات البنوية، منهجيات واتجاهات. ص 242

والسؤال الذي ينبغي طرحه هنا : فيم يمكننا أن نميز هذا الطرح عند تروبيسكوي خاصة بين الفونيتيك (الأصواتيات) والفونولوجيا (الصواتة) ؟ .يمكننا رصد أهم ما بينه تروبتسكوي في هذا الشأن ، من خلال معرفتنا أولا لما سبق عند دي سوسير [1] في اهتمامه بالتفريق بين هذين المستووين ، إذ تبين من خلال دراسة الصوت عموما عنده أنه ميز بين الفونيتيك والفونولوجيا ، إذ يُعدّ الفونيتيك الفرع المنبثق من العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات عبر السنين فهو جزء أساسي من علم اللغة، أما الفونولوجيا فهي الدراسة العملية الميكانيكية للنطق، وبالتالي فهي علم مساعد لعلم اللغة.. ولقد تبين مع مدرسة براغ الوظيفية عكس ما كان مع دي سوسير، إذ يعتبر روادها الفونولوجيا ذلك الفرع من علم اللغة الذي يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية، فهي بهذا فرع من علم اللغة، أما الفونيتيك فهو فرع خارج عن علم اللغة بل مساعد له .وبحسب رأي تروبتسكوي فإنه "لم يسهم دو سوسير المستند إلى كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة ، في تطوير فكرة التمييز بين الصوت المادي الذي يشكل المادة اللسانية وبين الأثر النفسي يخلفه هذا الصوت ، أي بين الصوت والفونيم ، على الرغم من انه أحسن تعبير هذه الثنائية من سويت ، وعلى الرغم من أنه عبر تعبيرا صريحا عن الطابع غير المادي للدال والميزة الخلافية والنسبية للعناصر المكونة لهذا الدال إلا انه لم يميز ، في نظر تروبتسكوي بين مادتين علميتين تنتمي إحداهما إلى مجال اللسان وتعنى بالعناصر الخلافية للدال غير المادي بينما تنتمي الأخرى إلى مجال الكلام وتعنى بأصول اللغة دون اعتبار لوظيفتها الخلافية" [2]

على كل يمكننا النظر إلى هذه الاعتبارات من وجهة نظر بعض المحدثين بالقول بعلم الأصوات وعلم وظائف الأصوات، أو ما يصطلح بالفونيتيك والفونولوجيا على أساس اكتفاء الأول منهما لدراسة المادة الصوتية كحدث منطوق، والثاني بتبيين وظيفة هذا الصوت وقيمته في اللغة المعينة، ثمّ وضع قواعد ونظم تحدد نوعيات هذه الأصوات وصنوفها من حيث أدوارها في البناء اللغوي .. يميز تروبتسكوي بين الصواتة والأصواتيات على أساس الدلالة " إن ما يميز الأصواتيات أساسا هو إقصاؤها التام لأية علاقة بين المركب الصوتي المدروس وبين دلالته اللغوية ... الصوانة عليها أن تبحث في الاختلافات الصوتية المرتبطة في اللغة المدروسة ، باختلافات في المعنى ن وفي الكيفية التي تتصرف بها
العناصر المميزة أو العلامات مع بعضها البعض، وبناء على أية قواعد تستطيع تتألف في ما بينها لبناء
كلمات أوجمل [3] وعلى هذا الأساس ومما سبق سكوي أهم ما يكون من صلب نغال المهتم بالفونيتيك . إذ ينكب على دراسة الجانب المادي للصوت ، في حين المهتم

(1)تمام حسان مناهج البحث في اللغة مكتب النسر للطباعة، 1999، القاهرة / كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للنشر، 2000، القاهرة
(2) مختار الزواوي، دوسوسير من جديد- مدخل الى اللسانيات- ابن النديم /وهران- الجزائر -2018 ص 86
(3) ماري ان بافو وجورج اليا سيرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى – مرجع سابق- ص 207

بالفونولوجيا يصب بالغ اهتماماته على الصوت من حيث هو الذي يقوم بوظيفة في النسق اللغوي التي تهدف إلى إنتاج المعنى في منظور تواصلي بالأساس.(وفي مقال له صدر سنة 1932 يقدم تروبتسكوي طروحاته بوضوح- يمكن النظر إلى تفصيل ذلك).

5- الوظيفة التمييزية للفونونيم القيمة الخلافية:

ويرى "ترويتسكوي" أن "الفونيم" عبارة عن النماذج الصوتية التي لها القدرة على تمييز الكلمات، وأشكالها، والأنماط الصوتية المستقلة، التي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات، ومنه فكل "قونيم" يؤدي وظيفتين:

أ- وظيفة إيجابية: حينما يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه.

ب-وظيفة سلبية: حينما يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى، ومثال ذلك فونيم "النون يشترك مع غيره من الفونيمات في كلمة "نام"، لتحديد معناها ومدلولها وهي الوظيفة الإيجابية، أما السلبية تتمثل في حفظ كلمة "نام" مختلفة عن كلمات مثل: "قام"، "صام"، "حام"، وتظهر الوظيفة الإيجابية (الأساسية) بشكل جلي- أثناء حذف الفونيم من الكلمة واستبداله بأخر في تغير المعنى مثلا: استبدال فونيم "الصاد" في كلمة "صام" بالقاف فتصبح الكلمة "قام"؛ فالفونيمات أصوات لها سمات خاصة، قادرة على التمييز بين الكلمات في كل اللغات بإبدالها بفونيمات أخرى، وبترتيبها، وموقعها في بنية الكلمة، وهو ما يشبه فكرة التقاليب والتباديل في الاشتقاق الأكبر في العربية[1]

ج- الوظيفة التمييزية للفونيم: (القيمة الخلافية : يرى "تروبيسكوي" أنّ "الوظيفة التمييزية" هي الوظيفة الأساسية للوحدات الفونولوجية، ويعرف "الفونيم" من حيث وظيفته اللسانية على أنه أصغر وحدة يمكنها أن تظهر تعارض إشارتين مختلفتين، ويفترض هذا الاختلاف وجود تضاد بين الوحدات المميزة؛ إذ أن ليس بإمكان أي "فونيم" تأدية وظيفة تمييزية إلا إذا كان مضادا لقونيم آخر، مثل الزوج) تاب تاب ، فوجود تضاد صوتي بين فونيمي التاء والنون، ميز بين دلالة الكلمتين، وعليه ركز على أن مفهوم الفونيم يأتي من مفهوم التغاير والتضاد في المجال الصوتي[2] ، فالوظيفة التمييزية هي أساس التحليل الفونيمي بين الوحدات المفيدة.إثر هذا الجهد الكبير حاز العالم "ترويتسكوي "شرف المؤسس الأول "للفونولوجيا" وقاده إلمامه الواسع بلغات متنوعة إلى استنباط واستخلاص ملاحظاته الهامة الأولى على النظم الصوتية، ووصف منهجه في تحليل اللغة بأنه علم جديد، وقد كان هذا التحليل الفونولوجي رائدا في مجال الدراسات البنيوية المنهجية من حيث دقته، وصرامته، ونتائجه حتى راحت تحتذيه باقي

---

(1)ينظر: سمير شريف استيتية اللسانيات المجال الوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط 01، 2005 م، ص70

(2)ينظر ميشال زكريا ، الألسنية علم اللغة الحديث المبادىء والإعلام ، ص 237، 238

الدراسات اللسانية الأخرى، فقد حدث على يده تحول الدرس الفونولوجي من الجزئيات المعزولة إلى النظام، ثم بحث هذه الجزئيات من خلال علاقتها المختلفة.

الخـــــــــــــــــاتمة:

ويمكننا في الأخير أن نقول أن تروبتسكوي هو الذي بلور في أجلى مظهر نتائج أعمال حلقة براغ
الوظيفية في عمله الموسوم بـ : (مبادئ الأصوات الوظيفية) إلا أن النظرية الوظيفية لم تتبلور في كل
مظاهرها مع مدرسة براغ، فقد تواصل بناؤها وصقلت مبادؤها ومفاهيمها في فرنسا عن طريق "أندريه
مارتيني" كما تجسدت جل معطياتها الفعلية على يد المتأخرين من أمثال "إيميل بنفينيست."